ظاهرة معاداة اليهـود بين الحقيقة والحقائق

ا. د. عبدالوهاب محمد المسيري

تحرص أدبيات معاداة اليهود (التي يقال لها «معاداة السامية») على تصوير اليهود، كل اليهود، باعتبارهم خونة وقتلة ومرائين بشكل مطلق، وعلى تأكيد ان اليهودي كذا بطبعه، وان «الطبيعة البشرية اليهـوديـة» جُبلت على الطمـع، أو البخـل، أو ما شابه من صفات سلبية. ومن المفارقات الجديرة بالتسجيل ان موقف أعداء اليهود هو موقف صهيوني تماماً. فكل من الصهيوني وعدو اليهود يرى اليهودي على انه شخص فريد لا يخضع للحركيات الاجتماعية التي يوجد فيها، ولا ينتمي الى الأمّة التي يعيش بين ظهرانيها، وكلاهما يعتقد بأن اليهودي يقف، دائماً، في مقابل الاغيار (غير اليهود)، اذ انه ـ حسب وجهتي نظرهما ـ ثمّة خاصية ما في اليهود، ثمّة خصوصية كامنة فيهم، تجعل من العسير على كل المجتمعات الانسانية دمجهم، أو استيعابهم، وتجعل من العسير عليهم الاندماج فيها. وقد يخلص الفريقان الى نتائج مغايرة شكلاً، ولكنها، في نهاية الامر، متّفقة من ناحية البنية. فكلاهما يتفق على ضرورة « خروج اليهودي» من المجتمع الذي ينتمي اليه. ويجب ان نتذكر ان اليهودي الذي يفرّ من كره أعداء اليهود هو الذي يصبح مستوطناً صهيونياً يغتصب الارض العربية، ويتحوّل، هو ذاته، بعد قليل، الى الجندي الصهيوني الذي نراه على شاشات التلفزيون يقتل الاطفال العرب. وقد أدرك الصهيونيون ذلك تماماً؛ ولذا فتاريخهم هو تاريخ التحالف مع أعداء اليهود؛ بل ان الصهيونية وصفت بأنها تعيش على الكوارث اليهودية. ومن المعروف لدى الدارسين ان الحركة الصهيونية نظّمت هجمـات (أحيـانـاً مسلّحة) على الأفراد والجماعات اليهودية، لترغمهم على الخروج من بلادهم، ليتحـوّلوا الى مادة استيـطانيـة وقتـالية في المستوطن الصهيوني. واشاعات الهجمات على اليهود السوفيات وظاهرة نبش قبور اليهود في اوروبا هي، في أغلب الظن، من تدبير الحركة الصهيونية. وقد جاء في احد تواريخ الصهيونية انه اذا كان ثيودور هرتسل هو ماركس الصهيونية، أي منظّرها، فهتلر هو لينـين الصهيونية، أي من وضعها موضع التنفيذ، وذلك من طريق تصعيد اضطهاد اليهود في اوروبا، فهاجرت الآلاف الى فلسطين، وهو ما فشلت الحركة الصهيوينة فيه حتى ذلك التاريخ.

وهذا التحالف التاريخي المباشر بين الفريقين أصبح أمراً معروفاً، وتناوله العديد من الدراسات، ولن نتطرّق اليه في مقالتنا هذه؛ ولكننا سنتناول موضوعاً قريب الصلة به، لم يتنبّه له الكثيرون، وهو نجاح الصهيونيون في اشاعة ادراكهم للواقع، وموقفهم منه، من طريق تناول احداث ووقائع وأساطير العداء لليهودية، بعد تجريدها من سياقها التاريخي وعزلها عن أي قوى اجتماعية، أو انسانية، بحيث يمكن للصهيـونيـين فرض معنى صهيـوني عليهـا، وهذا ما يحدث لأي واقعة تاريخية تتحوّل الى